مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد (05) العدد (02)، السنة (2020) ص 92-106
ISSN : 2602-5566 EISSN : 2716-8999

التنافس الاسباني -الانجليزي حول الثغور المغربية خلال عهد أحمد المنصور السعدي(986هـ/1578-1012هـ/1603م): العرائش نموذجا

The Spanish-English rivalry over the Moroccan stomata during Ahmed Al Mansur's time: Larache as a model

محسن بووشن[1]*

[1]جامعة ابن طفيل (المغرب)، mohsine.juba2015@gmail.com

تاريخ الاستلام:06/09/ 2020 **تاريخ القبول: 2020/11/05**

ملخص:

عاش المغرب خلال عهد السلطان أحمد المنصور داخل محيط إقليمي وعالمي مليء بالصراعات نتيجة التحولات التي عرفتها موازين القوى ووقوعه في موقع جغرافي جعله محط أطماع أكبر القوى خلال تلك الفترة، ممثلة في الاسبان والأتراك، قبل أن تدخل إنجلترا كقوة صاعدة. تم اعتماد منهجية تحليلية استقرائية لمقاربة إشكالية التنافس الاسباني-الانجليزي حول قضية ميناء العرائش، والتي شكلت نموذجا لتنامي الأطماع الخارجية في المغرب، والمجهودات الكبيرة التي قام بها أحمد المنصور لحمايته منها، فقد أصبحت مسألة الحصول على العرائش تتجاوز كونها بلدة على الساحل المغربي، بل باعتبارها موقعا استراتيجيا يمكن من السيطرة على التجارة البحرية في المياه المفتوحة القريبة، وهو ما دفع الإنجليز للقيام بمجهودات كبيرة للحيلولة دون وقوعه بأيدي أعدائهم الأسبان.

الكلمات المفتاحية: العرائش؛ فيليب الثاني؛ أحمد المنصور؛ الملكة إليزابيث.

Abstract

During the reign of Sultan Ahmed Al-Mansour, Morocco lived within a regional and global environment full of conflicts as a result of the shifts in the balance of power and its location in a geographical location that made it the focus of the ambitions of the largest powers during that period, represented by the Spaniards and the Turks, before entering England as a rising power. An inductive analytical method was adopted to approach the problem of the Spanish-English competition over the issue of the port of Larache, which constituted a model for the growth of foreign ambitions in Morocco, and the great efforts made by Ahmed Al-Mansour to protect him from them. A strategic location that enables control of maritime trade in the nearby open waters, which prompted the British to make great efforts to prevent it from falling into the hands of their Spanish enemies.

Keywords

Larache; Philip II; Ahmed Al Mansour; Queen Elizabeth.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

لفت المغرب الأقصى خلال العصور الحديثة أنظار أوربا الغربية أكثر من أي قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى، فقد عرف منذ زمن بعيد كدولة بحرية تستوجب المراعاة والاحترام، وأثبتت العلاقات الدبلوماسية والتجارية التي أبرمها معه العالم القديم قدر ما كانوا يولونه من الاهتمام[i].

لقد ربط المغرب علاقات مع العديد من الدول المختلفة، سواء في الشرق الإسلامي أو مع الدول الأوربية المسيحية، والتي تباينت من حيث الأهمية والتنوع حسب الدولة المعنية، ومن فترة إلى أخرى، لكنها عرفت تطورا واضحا على العموم منذ القرن الخامس عشر، وإن كانت بداية ذلك التقارب ذا طبيعة تصادمية، برزت بشكل واضح من خلال مهاجمة الدولتين الأيبيريتين للسواحل الشمال-إفريقية، واحتلال العديد من ثغورها.

جاءت الدولة السعدية(951هـ/1551م-1069هـ-1659م) منذ البداية لمواجهة الزحف الأيبيري على المغرب، ونجحت في نحت مكانة هامة للمغرب بين دول المنطقة، خاصة بعد الانتصار الكبير في معركة الملوك الثلاثة (وادي المخازن)986هـ/1578م، والتي كانت السبب الأساسي في سقوط العرش البرتغالي بيد ملك إسبانيا، لكنها كانت كذلك نهاية أية أطماع للقوى المجاورة في مهاجمة واحتلال أجزاء أخرى من أراضيه. لكن الأمر كان يتجاوز مجرد أطماع ترابية في المغرب، سواء من جيرانه العثمانيين في الشرق أو الأيبيريين في الشمال، بل كان الأمر مرتبطا أكثر بالتموقع الاستراتيجي لتلك القوى، بشكل يمكنها من الدفاع عن مصالحها الكبرى والحيلولة دون تمكن باقي منافسيها من تهديد أمنها في البر أو البحر. وفي هذا الإطار، كانت إنجلترا تعتبر العدو اللدود لإسبانيا في أوربا، نتيجة للخلافات المذهبية الدينية للبلدين، وتصادم مصالحهما الاقتصادية والسياسية في العديد من المناسبات[ii].

كان التحول الذي عرفته المبادلات التجارية العالمية بعد انتقال مركز ثقلها من البحر الأبيض المتوسط إلى الموانئ الأطلسية بعد اكتشاف العالم الجديد الدور الأكبر في تزايد الاهتمام بالثغور الأطلسية المغربية، والتي شهد أحدها، وهو ميناء العرائش، تنافسا محموما بين مختلف تلك القوى للسيطرة عليه، سواء بالقوة العسكرية أو الوسائل الدبلوماسية، لتتمكن من خلال ذلك من التموقع في نقطة استراتيجية على الساحل الأطلسي، تشرف من خلاله على حركة الملاحة البحرية الدولية وكذلك على السواحل الاسبانية القريبة.

لقد شهد ذلك التنافس المحموم حول ميناء العرائش تنافسا من نوع آخر، بين سلطان المغرب أحمد المنصور[iii] وفيليب الثاني ملك إسبانيا[iv] وإليزابيث ملكة إنجلترا[v]، عمل فيه هؤلاء على استخدام مختلف أساليب الإقناع والمراوغة والمماطلة وغيرها، في سعي محموم من السلطان السعدي للحفاظ على سلامة أراضيه، ومن الملك الاسباني للحصول على الميناء، ومن ملكة إنجلترا لعرقلة مخططات إسبانيا بخصوص العرائش.

من خلال كل هذه المنطلقات تم اختيار منهجية استقرائية تحليلية لتفكيك الجوانب المتداخلة لهذا الموضوع والوصول للإجابة على إشكاليته الأساسية وأسئلته الفرعية.

إشكالية البحث:

تمكن تلك النظرة الأولية على الموضوع من صياغة إشكاليته من خلال طرح التساؤلات التالية:

- ما هي أسباب التنافس بين إسبانيا وإنجلترا حول السيطرة على ميناء العرائش؟
- ما الأساليب التي تم استخدامها في هذا الصراع؟

- كيف عكس التنافس حول ميناء العرائش الصراع الأكبر حول النفوذ في المنطقة ككل؟
- إلى أي حد استطاع أحمد المنصور الحفاظ على العرائش؟

2- التحولات في الأوضاع الدولية

2-1- بروز الدولة السعدية على الساحة الإقليمية

عرف العالم المتوسطي تحولات كبيرة منذ القرن الخامس عشر، عندما انتقلت المبادرة الحضارية إلى أوربا المسيحية بعدما كانت لمدة طويلة بيد العالم الإسلامي، وبالتالي نشأت العديد من الدول الجديدة في القارة الأوربية، خاصة شبه الجزيرة الأيبيرية التي عرفت قيام دولتين قويتين هما إسبانيا والبرتغال، واللتين برزت قوتهما بشكل مواز لضعف بلاد المغرب، بحيث سعت الدولتان منذ البداية إلى غزو المغرب والتوسع على حسابه، وهو ما كان سببا مباشرا في ظهور السعديين كقوة محلية بخلفية دينية لمواجهة المحتل المسيحي. إلى جانب المواجهات العسكرية، ربط المغاربة علاقات تجارية مع إسبانيا والبرتغال لتسويق منتجاته والحصول على حاجيات سكانه المختلفة، إلى جانب التعامل مع بلدان أوربية أخرى بنسبة تطورت أكثر فأكثر مع مرور الزمن، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، العلاقات التي ربطت بين المغرب وإنجلترا، والتي تعددت أوجهها بتعدد المجالات التي تشكلت من خلالها، كما ساهمت فيها العديد من المعطيات المتعلقة بالبلدين.

لقد وجد السعديون أنفسهم منذ البداية بين قوى متنافسة تهدف كل منها إلى ضمان تبعية المغرب لها، وفي هذا السياق اضطر المولى عبد الملك[vi] الذي وصل إلى الحكم سنة 983هـ/1576م بفضل مساعدة باشا الجزائر إلى الاعتراف علانية بالتبعية للباب العالي، لكن يبدو أن ذلك كان تصرفا تكتيكيا وليس نابعا عن قناعة، وفي الواقع لا يبدو أنه أوفى بوعده بالمبايعة، والذي التزم به عندما ترك ابنه في الجزائر كضمانة؛ أصبح بذلك مضطرا لاحترام التحالف مع إسبانيا، لكنه عمل على خلق توازن معها ببناء علاقات جيدة مع إليزابيث ملكة إنجلترا، وفي الوقت الذي استلهم فيه الكثير من النموذج التركي، ربط علاقات مع أوربا لخلق توازن مع العثمانيين[vii].

كانت المنافسة بين تلك الدول الكبرى لاستقطاب المغرب تتجلى في العديد من القضايا، والتي كانت العرائش إحدى أهمها، نظرا لاستمرار تلك المنافسة والتدافع بينها حول الحصول على هذا الميناء الأطلنتي لسنوات عديدة، خاصة بين اسبانيا وإنجلترا، مع صمود وممانعة متواصلة من الطرف المغربي، باستعمال كل الوسائل المتاحة للمحافظة على العرائش ضمن الممتلكات المغربية للدولة السعدية.

2-2- أطماع الإيبيريين والأتراك في العرائش:

العرائش مدينة أسسها الأفارقة القدامى على شاطئ المحيط، في المكان الذي يصب فيه نهر اللكوس في البحر، وقد قام الوطاسيون بتحصينها بشكل قوي، وأقاموا بها حامية دائمة مزودة بالأقوات اللازمة، لأنهم كانوا شديدي الحذر من البرتغاليين، ولهذه المدينة ميناء يصعب اجتيازه جدا لمن يريد الدخول إلى مصب النهر[viii].

إعتاد الإنجليز منذ بداية تجارتهم مع المغرب على إرساء سفنهم في ميناء العرائش[ix]، والذي كان يعتبر البوابة البحرية لمملكة فاس. عندما بدأت الاحتجاجات البرتغالية من التجارة الإنجليزية مع المغرب في عهد الملكة إليزابيث، كان ميناء العرائش أحد الموانئ، إلى جانب أسفي وسانتا كروز دي كاب دي غير، التي تمسك الإنجليز بالاستمرار في المتاجرة بها بحرية[x].

استأثر هذا الميناء باهتمام القوى المنافسة الأخرى كذلك، فمنذ بداية التخطيط لحملته على المغرب، عمل الملك البرتغالي سباستيان[xi] على إثارة اهتمام الملك الإسباني فيليب الثاني بهذا الميناء، فأخذ يبين له أهميتها الإستراتيجية بالنسبة لإسبانيا، فأفضل وسيلة، حسب الملك البرتغالي، لإيقاف أطماع الأتراك بالمغرب هي الاستيلاء على ميناء العرائش الذي يمثل مرسى جيدا وموقعا مهما، فهي أولا تشرف على السهل وثانيا تستند على نهر اللكوس وثالثا تنفتح على البحر، وهذا ما يمكن من التحصن فيها بسهولة، ولن يكون ذلك بغرض دفاعي فقط، بل بداية لعمليات أكثر اتساعا، فالعرائش تقدم ملجأ جيدا من عواصف المحيط الاطلنتي. إذا قام الأتراك بالسيطرة عليها فإن الملاحة ستصبح مستحيلة في نواحيها، وسيفرض ذلك إنفاق مبالغ طائلة لإخراجهم منها[xii].

رغم أن الملك البرتغالي سباستيان قد فشل في إقناع فيليب الثاني بمشاركته في الحملة ضد المغرب، فإن الاهتمام الإسباني بميناء العرائش أصبح واضحا منذ ذلك الحين، فقد حاول الملك الإسباني الضغط على المولى عبد الملك من أجل تسليمه ميناء العرائش حتى يحول دون اجتياح الدون سباستيان للمغرب[xiii]، وهو ما لم تتم الاستجابة له من طرف الشريف السعدي.

إلتقى الجيشان المغربي والبرتغالي في 30 جمادى الثانية 986هـ/ 04 غشت 1578م فيما سمي بمعركة وادي المخازن، والتي عرفت انتصار كبيرا للجيش المغربي على الجيش البرتغالي، بحيث قتل أغلب جنود الجيش البرتغالي وأسر عدد كبير منهم بما فيهم شخصيات مهمة من النبلاء والأمراء، والأهم من ذلك هو مصرع الملك البرتغالي الدون سباستيان وحليفه محمد المتوكل، وفي الجهة المقابلة توفي خلال المعركة عبد الملك السعدي متأثرا بمرض ألم به[xiv]، وتمت مبايعة المولى أحمد، الذي لقب بالمنصور[xv]، سلطانا على البلاد، ليخلف أخاه المولى عبد الملك على العرش[xvi]، وبدأ مرحلة مهمة من التاريخ المغربي، تميزت بانخراط المغرب في أهم الأحداث والتطورات التي عرفتها المنطقة ككل.

ساهم التهديد العثماني في إحداث تقارب بين المغرب وإسبانيا، وتم عقد اتفاق بين المولى أحمد المنصور وفيليب الثاني، موجه بالأساس ضد الأتراك العثمانيين، التزم فيه الطرفان بأن يساعد أحدهما الآخر إذا تعرض لهجوم تركي، وألا يسمح المغرب باستعمال أراضيه وموانئه في الهجوم ضد إسبانيا[xvii]، خاصة وأن الملك فيليب الثاني كان متخوفا من لجوء ثلاثمائة "غليوطة" موجودة في مرسى الجزائر إلى العرائش، مما سيجعل خطرها قريبا من السواحل الاسبانية[xviii].

كان لكل طرف أهدافه من هذا الاتفاق، فالمولى أحمد المنصور يواجه تهديدا حقيقيا لملكه من طرف الأتراك بالجزائر، الذين لم يمنعهم من مهاجمة المغرب سوى تخوف الباب العالي من تحالف مغربي-إسباني، يمكن أن يقضي على الوجود العثماني بشمال إفريقيا، كما أن فيليب الثاني كان يفضل جوار السعديين على جوار الأتراك، الذين ستشكل قوتهم تهديدا حقيقيا لمملكته إذا ما تم لهم الاستيلاء على المغرب، إلى جانب انشغاله بتمهيد الساحة لإطلاق يده في مملكة البرتغال[xix].

لكن فيليب الثاني الذي زادت قوته بعد ضمه لتلك البلاد، لم يتوقف عن محاولات الحصول على العرائش، فتتالت مراسلاته بهذا الشأن للمولى أحمد المنصور وكذا مطالب مبعوثيه إلى المغرب بتسليم الميناء، كما كان الأمر مع سفارة بيدرو بينيكاس الذي سعى سنة 1579م إلى دفع الشريف للتخلي عن مرسى العرائش للأسبان، وكذا عرض مبادلته بميناء مازاغان إذا ووجه طلبه بالرفض[xx]، وبلغ الأمر إلى حشد قوة عسكرية بقادس، بأمر من دوق ميدينا سيدونيا بغرض الاستيلاء على الميناء المغربي[xxi].

كان المنصور يرى في العثمانيين خطرا على بلاده لوعيه بأطماعهم في المغرب، لذلك لم يهمل سعيه للتقارب مع إسبانيا، معطيا الوعود لفيليب الثاني بتمكينه من ميناء العرائش، دون أن يتجاوز عتبة الوعود في ذلك[xxii]، محاولا اللعب على حبل الأطماع المتضاربة للأسبان والعثمانيين من أجل الحفاظ على وجود المغرب كبلد مستقل.

دفعت تلك الأطماع المتزايدة للسيطرة على ميناء العرائش بالسلطان السعدي للقيام بتحصين المدينة بشكل جيد، فقام منذ بداية حكمه ببناء حصن منيع سمي بحصن الفتح، لحمايتها من أي هجوم محتمل، وعززه بآخر سنوات بعد ذلك، واللذين وصفهما الفشتالي ب"الأثرين العظيمين والفلكين المحيطين والحصنين الضخمين اللذين خيما على أنف عدو الدين بمرسى العرائش"[xxiii]، مما يوضح إلمام المنصور الواضح بالأهمية الإستراتيجية لذلك الميناء بالنسبة لدولته، وقوة الأطماع الموجهة نحوه من القوى الخارجية.

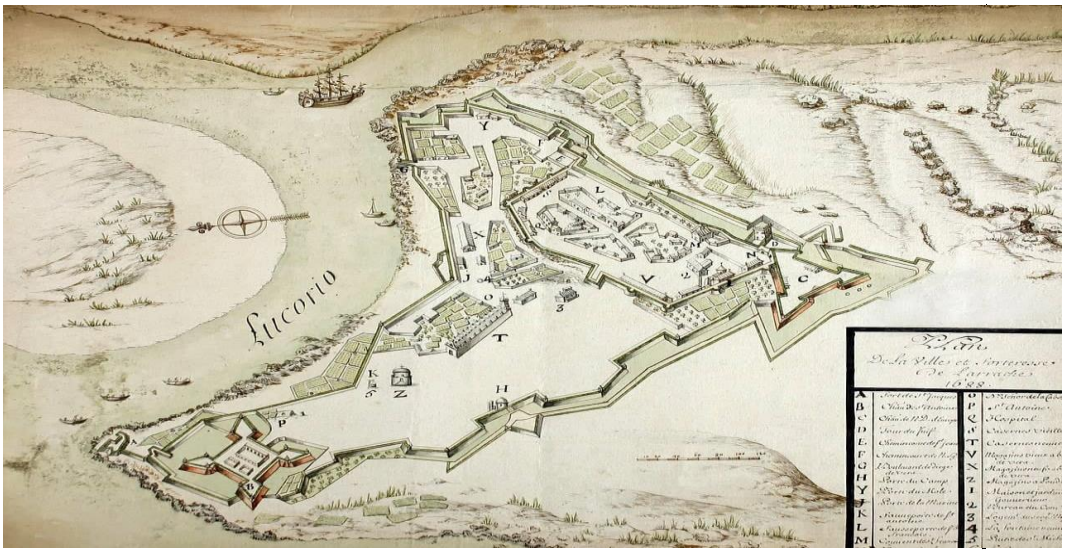

تحصينات أحمد المنصور لميناء العرائش

3- اهتمام إنجلترا بالعرائش:

3-1- أسباب الاهتمام الانجليزي بالعرائش:

وضع انتصار الجيش السعدي في معركة وادي المخازن المغرب في قلب اهتمام القوى الكبرى، سواء منها الإمبراطورية العثمانية في الشرق، أو الدول الأوربية المسيحية في الشمال، وجعل إنجلترا وملكتها إليزابيث تغير نظرتها إلى هذا البلد، الذي لم يعد يمثل سوقا تجارية مهمة للتجارة الانجليزية فقط، بل أصبح المغرب دولة ذات مكانة كبيرة في المنطقة، تضرب لها باقي القوى حسابا كبيرا في سياستها الخارجية، لذلك أصبح لزاما على العلاقات بين إنجلترا والمغرب أن تتجاوز البعد الاقتصادي الصرف، وأصبح لزاما كذلك على الملكة إليزابيث التفاعل مع هذه التحولات التي طرأت على وضع المغرب داخليا وخارجيا، والعمل على تحقيق تقارب أكبر مع المولى أحمد المنصور، من أجل الاستفادة منه كحليف وازن على المستوى السياسي من جهة، وكذلك الحيلولة دون حدوث تحالف بينه وبين الملك الإسباني فيليب الثاني من جهة أخرى، لما سيمثله ذلك من ضربة قوية لمصالح إنجلترا السياسية والاقتصادية.

لقد أسفرت الكشوفات الكبرى عن واقع جغرافي واقتصادي وبشري جديد على الصعيد العالمي على مستويين رئيسيين، فمن جهة تحولت الحركة التجارية البحرية من البحر الأبيض المتوسط، الذي كان

المركز الرئيسي لهذه التجارة، إلى المحيطات، لاسيما المحيط الأطلنتي، وهذا التحول رافقه انتقال في مراكز التجارة والملاحة من البندقية وجنوة إلى لشبونة وإشبيلية، ثم فيما بعد إلى أنفيرس وأمستردام ولندن[xxiv].

من جهة أخرى، ثمة فرق أساسي بين الرحلات الاستكشافية التي قام بها الإيبيريون وتلك التي قادها الانجلوساكسونيون، فقد تمثل هدف الأسبان في الحصول على الذهب، أما الانجليز فكان هدفهم هو الحصول على الأرض وتعميرها[xxv].

يطرح في هذا السياق موضوع الصراع الذي كان يدور بين إنجلترا وإسبانيا، والذي اكتسى في ظاهره طابعا دينيا، لكون فيليب الثاني ملك إسبانيا، كان يعتبر نفسه زعيما للعالم الكاثوليكي، وكان دائم العمل من أجل القضاء على المذهب البروتستانتي، الذي تتبناه إنجلترا بزعامة الملكة إليزابيث، لذلك عمل على دعم غريمتها اللدودة ماري ستيوارت[xxvi] ملكة اسكتلندا الكاثوليكية في مطالبتها بعرش إنجلترا، ومن جانبها، قامت ملكة إنجلترا بتقديم الدعم للهولنديين الراغبين في طرد الأسبان المحتلين من بلادهم[xxvii].

بالنظر إلى كل ذلك، فإن إمكانية التحالف مع المغرب شكل بالنسبة للملكة إليزابيث فرصة للضغط على الأسبان، نظرا للموقع الجغرافي الذي يحتله المغرب في الجنوب من إسبانيا، وإمكانية استغلاله في ضرب الاقتصاد الإسباني القائم بشكل كبير على ما تحمله السفن من مستعمراته بأمريكا والهند، كما يمكن استثمار الموانئ المغربية لاحقا عند قيام صراع عسكري بين إنجلترا وإسبانيا، ولم لا، الحصول على دعم مباشر من الملك السعدي في ذلك الصراع المحتمل.

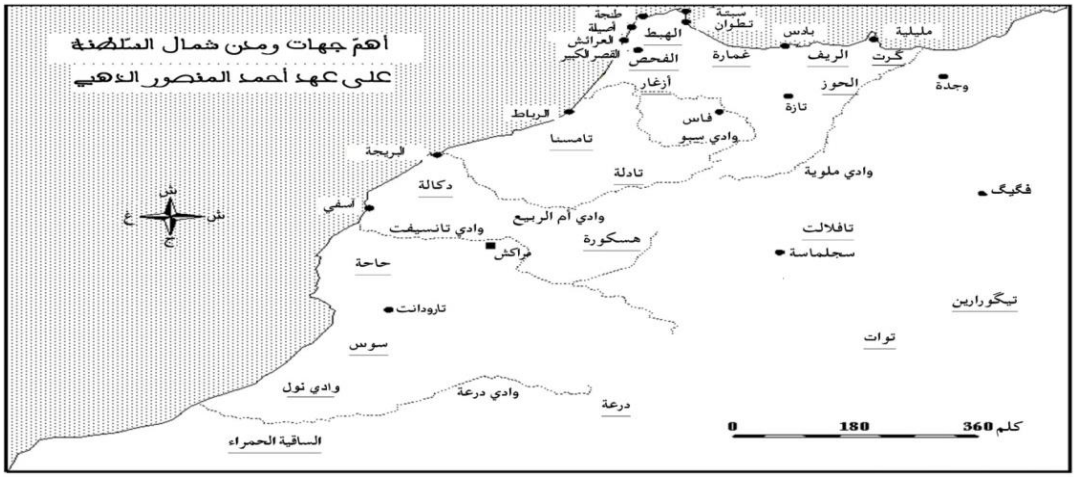

2-3- المناورات الانجليزية مقابل الأطماع الاسبانية:

لم تكن الأطماع الإسبانية في العرائش غائبة عن الانتباه الإنجليزي، فحصول الأسبان عليها كان سيمثل ضربة قوية للمصالح الإنجليزية في المنطقة ويحكم على تجارتها مع المغرب بخسائر كبيرة، إن لم يكن سببا في القضاء عليها بشكل كامل، لهذا عندما بلغ إلى علم الملكة إليزابيث بأن قوة من عشرة آلاف رجل اجتمعت بأمر من دوق ميدينا سيدونيا من أجل الاستيلاء على العرائش، أرسلت في مستهل شهر دجنبر سنة 1582م/989هـ مبعوثها جون سيمكوتس John Symcotts[xxviii] برسالة موجهة إلى الشريف لإحباط تلك العملية، وعدت فيها بأن تجارها سيحملون إلى بلاد البربر كل ما تحتاجه من البضائع، وقد حمل سيمكوتس في سفينته البارود والأسلحة. تعلق الشريف بجون سيمكوتس على الفور، رغم علمه بأنه ليس من ذوي الصدارة، ووسمه بلقب السفير، ابتهج أمام الملإ بما كانت الملكة تتوق إليه من إقامة طيب الصلة بينهما[xxix].

لم تكتف الملكة الانجليزية بذلك لتفادي خطر حصول فيليب الثاني على مبتغاه، بل قامت من جانب آخر بالضغط على السلطان العثماني ودفعه ليمنع المولى أحمد المنصور من تسليم العرائش لإسبانيا[xxx].

لقد عاش المولى أحمد المنصور وضعية حرجة خلال تلك الفترة، بين فيليب الثاني الذي يطالبه بالعرائش، والباب العالي الذي يطالبه بجزء من ممالكه، وهو ما كان يمنعه من التقارب مع الأسبان ويرغمه على مهادنة الأتراك[xxxi].

لم تتوقف الأخبار بالوصول عن الاتفاق بين المغرب وإسبانيا على تسليم هذه الأخيرة ميناء العرائش، وانتشرت الأخبار في إسبانيا بأن المولى أحمد المنصور قد وافق على تسليمها إلى إسبانيا في ماي 1586م/994هـ مقابل الحصول على مازاغان[xxxii]، لذلك لم تكف محاولات الملكة إليزابيث عن محاولات إحباط تلك المخططات الإسبانية، وهو ما جعلها تعمل على محاولة إقناع السلطان العثماني بمنع احتلال العرائش من طرف فيليب الثاني عن طريق إغراءه بالاستيلاء عليها بنفسه، وقد أرسلت الملكة سنة 1586م/994هـ مبعوثا من طرفها إلى الشريف، عمل بمعية مبعوث تركي لوضع ذلك الثغر في منأى عن أطماع الملك الإسباني، وأرسلت من أجل تلك الغاية هدية ثمينة للمولى أحمد المنصور لدفعه لقبول الاتفاق مع السفير التركي، والذي قاد السفير الإنجليزي المفاوضات بشأنه[xxxiii].

ظل السفير الاسباني في المغرب، فرانشيسكو داكوسطا يكاتب الملك فيليب الثاني بشأن العرائش، موحيا بأن تسليمها من قبل الشريف وهم من الأوهام، لأنه امتنع عن تسليمها يوم كان المرفأ غير محصن، وكان يخشى أن ينتزعه الأتراك، فكيف يسلمه اليوم وقد تم تحصينها على ما ينبغي[xxxiv].

لم يفتأ الملك فيليب يتلهف على امتلاك العرائش، فسعى في أن يكتب الدوق دي ميدينا سيدونيا[xxxv] إلى بلطزار بولو بما كان من إلحاح المولى الناصر على الملك الإسباني في تمكينه من النزول في بلاد البربر، حيث له العديد من الأصدقاء والأنصار ينتظرون مجيئه، وأن الملك يتلاقى التشويش على الشريف وإن كان يفعل ذلك بلا مقابل، ويفضل صرف الأموال الطائلة على المولى الناصر وعلى من معه من المغاربة اللاجئين معه، على التسبب في أي خطر لصديقه، وأن على بلطزار بولو بناء على ذلك أن ينصح له صراحة بضرورة تمكين ملك إسبانيا من العرائش، وإلا فسيتصرف كل واحد منهما مما يراه مصلحته.

ولما لم يبقى للشريف أي ذريعة يتذرع بها، أجاب بلطراز بولو بأن الملك فيليب لا يريد أن يعترف بما في صداقته من الخير ليبقى الباب منغلقا من ناحيته، ذلك بأن ملكة إنجلترا تطلب منه بإلحاح تمكينها من مرسى، وبالضبط من مرسى المعمورة لإيواء أساطيلها، متعهدة في المقابل بنقل كل ما يغنمه الإنجليز إلى مراسيه وبيعها فيها، مما يعود بالنفع العميم على ملكه، وأنه امتنع دائما عن ذلك، مع أن الملكة صرحت قريبا عن رغبتها في إعانة الدون أنطونيو المطالب بعرش البرتغال، وأنها كانت تود إيفاد ولد الدون أنطونيو لديه لدعم أواصر الصداقة والتحالف بينهما، وأنه رفض كل ذلك ولن يقبل شيئا منه مادام الملك فيليب الثاني يدرك ما في جواره من فائدة، وأنه يميل من شدة حسن نيته إلى تمكينه من العرائش لو كان له في ذلك أدنى مصلحة[xxxvi].

إذا كان فيليب الثاني لم يعلن الحرب على إنجلترا بسبب الخسائر التي كبدته إياها الملكة إليزابيث في عدة مناسبات، فهو لم يتوقف عن تغذية الرغبة في الانتقام منها؛ لقد كان طموح هذا الملك هو توسيع ممالكه لتضم إنجلترا كذلك، وقد كان منتشيا بالحالة الجيدة التي يعيشها حكمه في تلك الفترة، فثروته قد زادت بعد ضمه للبرتغال، كما أن تجارة بلاد الهند والمستعمرات التي أقامها في العالم الجديد تملأ خزائنه بالكنوز الثمينة، وهي النقطة التي تنبني عليها عظمته، وكان المحرك الأساسي الذي يبني عليه سياسته هو الدفاع عن الكنيسة الكاثوليكية والقضاء على الزنادقة، وبما أن قوة رصيد الملكة إليزابيث ينبني على كونها

السند الأكبر للبروتستانتيين، فقد كان فيليب الثاني يؤمن بأنه إذا استطاع إخضاع تلك الملكة، فإنه سيحظى بالشرف الخالد لكونه جمع المسيحيين تحت راية الكنيسة الكاثوليكية[xxxvii].

أصبح ذلك الأمر الشغل الشاغل لكل ممالكه، فعمل وزراؤه وجنرالاته على الاستعداد الكامل لتحقيق ذلك الهدف، وكانت الاستعدادات الضخمة غير المسبوقة في أوربا، عامل ثقة للأسبان الذين أطلقوا على أسطولهم لقب الأسطول الذي لا يقهر[xxxviii].

في خضم هذا الخطر الداهم على إنجلترا، عملت الملكة إليزابيث على اللعب بكل الأوراق الممكنة لديها، فكان ممثلوها بالمغرب، فضلا عن البرتغالي ماتياس بيكودو، يضغطون على الشريف كي يمكّن ملكة إنجلترا من مرسى آمن تستطيع السفن الإنجليزية أن تنقل منه البضائع التي تستوردها من بلاد البربر، وأكدوا له أنه بدون الحصول على الميناء المذكور لا يمكن لهذه التجارة أن تستمر، لكن هدفهم الحقيقي كان مخالفا لتلك المزاعم، فقد كانوا يسعون لمعرفة إمكانية تحويل جزء من (أقوى أسطول حربي في البحر) المعد لمحاربة إنجلترا، عن هدفه الأساسي، من أجل إضعافه وتقوية فرص الإنجليز في مواجهته.

كان الشريف يرى أن الوقت غير ملائم لإثارة مشاكل جديدة بالنسبة إليه، فرد على هذا المطلب بأن الميناءين المنغلقين الوحيدين هما العرائش والمعمورة، وهما معا غير قادرين على استقبال سفن كبيرة، أما ميناءا أسفي وسانتا كروز دي كاب دي غير فهما مفتوحان في وجه الإنجليز الذين يرتادونهما فعلا باعتبارهم أصدقاء وحلفاء، كما أن الأسبان يخشون المجيء إليهما، إلى حد يمكن اعتبار هذين الميناءين خاصين بالإنجليز، وبسبب ذلك يستطيعون أن يقولوا بأن الميناءين بيدهم دون أن يصرح لهم الشريف بذلك، كما أن الملكة منشغلة بقضايا صعبة لدرجة لا تسمح لها بالاهتمام بالحصول على موانئ خارج إنجلترا، لكن النصر الذي يتمنون إحرازه سيتم بعد أيام قليلة، وعندئذ يمكن الحديث عن ظروف استغلال أحسن.

لم يكن المنصور ليوافق على ذلك الطلب، فهو كان يخشى إن بدأت السفن الإنجليزية في مهاجمة الأسطول الإسباني من موانئ مغربية أخرى، فسيرد الأسبان باحتلال تلك الموانئ، كما لم يكن متأكدا بعد سواء من أهداف الإنجليز أو من قوتهم البحرية، لذا سوف ينتظر ليرى كيف ستتطور الأحداث بأوربا ومن الذي سيكون المنتصر في المواجهات القائمة بين إنجلترا وإسبانيا.

لم يغفل المنصور الاستفادة من تلك المطالب الانجليزية، وعمد إلى إخبار السفير الاسباني بالطزار بولو بكل ذلك، وطلب منه أن يكتب بهذا المعنى إلى دوق ميدينا سيدونيا[xxxix]، رغبة منه في إعطاء ملك إسبانيا فكرة عما يمكن أن يقوم به للإضرار بمصالحه إن اختار الاصطفاف مع إنجلترا في تلك الحرب، والتعبير بشكل ضمني عن إمكانية العدول عن تلك الفكرة ما دام قد أخبرهم بما يدور بينه وبين الإنجليز من محادثات.

عمل السلطان السعدي من جهة أخرى على بسط تلك المطالب الإنجليزية كرد على التهديدات المبطنة للأسبان باستعمال ذلك الأسطول الضخم الذي كان في طور الإعداد، من أجل دفعه إلى تسليمهم ميناء العرائش، فقد قال الملك فيليب الثاني لمحيطه أن"العرائش تساوي وحدها أكثر من إفريقيا كلها"[xl]، وقد أخبر دوق ميدينا سيدونيا السفير بلطزار بولو بأن صاحب الجلالة فيليب الثاني يعد أسطولا لا نظير له فيما مضى من حيث العظمة، وأن عليه أن يذكر الشريف مرة أخرى بما في استبدال العرائش بمازاغان، التي كانت بيد الأسبان منذ ضمهم للبرتغال وممتلكاتها، من المصلحة للسلطان، ولو بسبب قربها من مراكش على الأقل، فالعقل يفترض أن تعتبر مازاغان أنسب من العرائش.

بما أن الشريف كان على علم بأن القصد من الأساطيل التي تجتمع من كل ممالك إسبانيا ومن البلدان الحليفة لها هو مهاجمة إنجلترا، فقد أبدى منتهى الحفاوة ببلطزار بولو ورد عليه بمنطق المناورة، وذلك يوم تسلم منه الأحجار والمجوهرات التي كلفه باقتنائها لصالحه، فقال له وهو يقلبها بيده بأن ذلك اليوم يوم مسرة، وبوده ألا يكدره ما لا يسر، ذلك بأنه بلغه من إنجلترا استعداد تلك الأساطيل وما كان يجند من الجند في بلاد الفلامنك لمهاجمة إنجلترا، وبأن الملكة نفسها أخبرته بالأمر، وأنها لشدة ثقتها في نفسها وبقوتها لم تخاطبه سوى في أمور التجارة، ولم تطلب منه شيئا، علما أن ما يربطهما من الصداقة لا يلزمه بمدها بالمساعدة أو الإغاثة أو المال ضدا على إسبانيا، وبأن الدوق لم يوفق في اختيار ما من شأنه أن يقنعه بتسليم العرائش، لأن الملك إذا كان صديقا له، فلا خوف عليه من أساطيله، وإذا كان عكس ذلك، فمن الواضح أن لحظة إعداده للأساطيل ليست مناسبة لمطالبته بمرسى مثل العرائش[xli].

مني الأسطول الإسباني الموجه لغزو إنجلترا بهزيمة مدوية، فقد عملت الملكة إليزابيث على إيصال أخبار انتصارها الباهر على أقوى أسطول عرفته أوربا إلى المولى أحمد المنصور، فبعثت برسالة تزف إليه فيها نبأ الانتصار الكبير، والكارثة التي حلت بالأسطول الإسباني(الأرمادا)[xlii]، وهو ما كان يتأمله السلطان السعدي، فذلك يعني التقليص من الخطر الإسباني على المغرب وتعزيز قوة حليفته إنجلترا، مع ما يعنيه ذلك من تقوية لموقف السلطان السعدي أمام الأسبان، ويفتح له المجال لتنفيذ مشاريعه بمأمن من أي هجوم إسباني على البلاد.

لقد تبين مع مرور الزمن بأن المولى أحمد المنصور لم تكن في نيته أبدا تسليم العرائش لأي طرف، سواء إسبانيا أو الأتراك، فقد عمل على تأمين المدينة ببناء حصن كبير بها[xliii]، واستمر في مماطلة الملك الإسباني دون إبداء رفضه الواضح تسليم الميناء بغرض المحافظة على علاقة سلمية معه، إلى أن اقتنع فيليب الثاني بأن السلطان المغربي مستمر في خداعه ومماطلته بشتى الذرائع، وهو ما جعله يفصح عن غضبه من تلك الأساليب، لذلك أصبح المولى أحمد المنصور متوجسا أكثر مما يمكن أن يقدم عليه الملك الاسباني لما سيسببه ذلك الرفض من إهانة لملكه، فكان ذلك من الأسباب التي جعلت السلطان السعدي يحاول الدفع بالانجليز للدخول في مواجهة عسكرية دون أي مشاركة من جهته فيها، لما سيحققه له ذلك من إبعاد للخطر الاسباني دون إعطائه الذريعة لمهاجمة المغرب[xliv].

إذا كان فيليب الثاني قد فقد الأمل في الحصول على العرائش كما كان يأمل منذ وقت طويل، فإنه عمل على استغلال تلك الورقة عندما عزم على السماح للمولى الناصر[xlv] بالعودة إلى المغرب، ضدا على رغبة المولى أحمد المنصور، فقام الملك الاسباني بنشر إشاعة مفادها أن المولى الناصر قد وعده بتسليم العرائش "يوم يمكنه الله من ممالك أخيه الشريف"[xlvi]، مما يبين الأهمية التي كان يوليها الملك الاسباني لهذا الأمر رغم مرور السنوات وتعاقب الخيبات حوله.

صحيح أن محاولة المولى الناصر الإطاحة بحكم المولى أحمد المنصور شكلت فترة عصيبة بالنسبة لحكم هذا الأخير، وتجسيدا لمخاوف أرقت باله طيلة سنوات حكمه، لكن انتصار قواته والقضاء النهائي على تلك الثورة أزاح عبء ثقيلا عن كاهل المولى أحمد المنصور[xlvii]، وسمح له بالسعي بشكل مباشر لرد الضربة للملك فيليب الثاني، وقد جاءته الفرصة بعد مدة قصيرة عندما أعدت انجلترا حملتها العسكرية على لشبونة.

عرفت الأوضاع في المنطقة ككل تغيرات عدة أواخر القرن السادس عشر، فقوة إسبانيا العسكرية تعرضت لنكسة كبيرة بهزيمة أسطول الأرمادا أمام الإنجليز سنة 996هـ/1588م، وتم عقد تحالف ثلاثي بين

إنجلترا، فرنسا والأراضي المنخفضة موجه ضد إسبانيا، في حالة مهاجمة هذه الأخيرة لإحدى دول ذلك التحالف، وتأتي وفاة الملك الاسباني فيليب الثاني في 12صفر 1007 هـ/13 شتنبر 1598م، العدو الأكبر للمولى أحمد المنصور، لتنهي عهدا طويلا من الريادة الإسبانية في القارة الأوربية والحوض الغربي للمتوسط.

4-سقوط العرائش في يد الاسبان بعد وفاة أحمد المنصور:

4-1- الأوضاع بالمغرب بعد وفاة المنصور:

أطلقت وفاة المولى أحمد المنصور الذهبي في 18ربيع الأول 1012هـ /25 غشت 1603م العنان لسنوات طويلة من الصراعات والحروب بين أبنائه حول حكم البلاد، وهو ما أدخل المغرب في دوامة من المعارك والخراب والأوضاع الاقتصادية الصعبة، وامتدت الفتن إلى جميع المناطق ولم تستثن أحدا من تبعاتها في الحواضر أو البوادي، وتفشت كل أشكال الفوضى والفساد في البلاد[xlviii].

عرفت الساحة المغربية أحداثا جديدة ذات صلة بالعلاقات الدائمة التوتر مع إسبانيا، والتي كان لها كبير الأثر على اللاحق من التطورات التي عرفها المغرب، والمنطقة ككل، فبعد أن أصبح مولاي زيدان مسيطرا على مراكش، واصل ضغطه على منافسيه لإتمام سيطرته على المغرب ككل، وتوجهت قواته لمواجهة قوات مولاي الشيخ بقيادة ابنه عبد الله وقوات مولاي أبي فارس على ضفاف نهر أبي رقراق في 29 رمضان 1015هـ/27 يناير 1609م، فكان النصر حليفه[xlix]. دفعت هذه المستجدات مولاي الشيخ المامون للذهاب إلى البرتغال، والتي وصل إليها في 4 مارس، بهدف طلب المساعدة من ملك إسبانيا فيليب الثالث لمواجهة مولاي زيدان والاستفراد بحكم المغرب. حمل مولاي الشيخ معه أربعمائة رجل، بالإضافة إلى أموال خزينته، مما يسمح له بدفع أجور اثني عشر ألفا آخرين، وطلب من ملك إسبانيا تزويده بالجنود ليتمكن من العودة إلى المغرب، وكان طلب المساعدة هذا مرفقا بعرض يقضي بمنح الأسبان مدينة العرائش مقابل ما سيقدمونه من دعم مالي وعسكري لمولاي الشيخ[l].

كانت العرائش، وخاصة نهر اللكوس الذي تقع على مصبه، مركزا مهما بالنسبة للقراصنة، فبعد تجاوزه يصبحون في مأمن من أي هجوم، وإسبانيا التي كانت بحاجة للثروات التي كانت تحملها سفنها من العالم الجديد والهند، لم تكن لتتسامح مع هجومات القراصنة المتكررة في المحيط، بل حتى على السواحل الأيبيرية، فكان الحصول على العرائش عن طريق القوة أو الدبلوماسية مسألة حيوية بالنسبة لها.

كانت هذه المدينة الميناء الخاص بفاس، وبالتالي بوابة محتملة لضم تلك المملكة للتاج الإسباني[li]، لذلك تلقى الأسبان هذا العرض بحماس كبير، وهو الذي سيمكنهم من التجارة بحرية مع المغرب، وكذلك إبعاد منافسة الدول الأوربية الأخرى، مع التحكم في حركة الملاحة البحرية في المياه التي تشرف عليها العرائش، وقد منح الملك الاسباني لمولاي الشيخ خلال مقامه هناك معاشا من مائتين وخمسين كروزادو في اليوم[lii].

4-2- سقوط العرائش بيد الأسبان:

سرت عدة شائعات عن إعداد الأسبان لحملة من أجل الاستيلاء على مدينة العرائش، لكن شيئا من ذلك لم يحدث، إلى أن استطاع المولى عبد الله استعادة مدينة فاس، ليطلب مولاي الشيخ تمكينه من العودة إلى المغرب، وهو ما تمت الموافقة عليه[liii]، في حين وصلت المفاوضات بينه وبين البلاط الاسباني إلى اتفاق موقع في 10جمادى الثانية 1018هـ/9 شتنبر 1609م، يلتزم هذا الأخير فيه بتسليم العرائش إلى فيليب الثالث مقابل مائتي ألف دوكات وستة آلاف بندقية[liv].

لم تتم عودة المولى الشيخ إلى المغرب إلا شهر ذي القعدة 1018هـ/ فبراير 1610م، وقد ترك أبناءه رهائن لدى الأسبان بطنجة، كضمانة على وفاءه بوعد تسليمه مدينة العرائش مقابل الدعم الذي قدموه له[lv]، فدعا قواد جيشه وأتباعه إلى تمكينه من تسليم العرائش للأسبان حتى يحصل على ما وعده به فيليب الثالث من أموال، ورغم عدم موافقة الكثيرين على ذلك، فقد أرسل قائده الجرني لإخلاء المدينة من سكانها، وهو ما لم يمر دون قتل العديد منهم، ليخرج الناس مرغمين من مدينتهم، ويبقى فيها القائد الجرني وقواته حتى احتلها النصارى دون قتال، وذلك في الرابع من رمضان عام 1019هـ/ 19نونبر 1610 عندما أحس المولى الشيخ بالإنكار الكبير لما قام به من تسليم بلاد المسلمين للنصارى، استصدر فتوى من علماء فاس تجيز له ما قام به[lvi].

استمر مولاي الشيخ متنقلا بين المناطق الشمالية للمغرب، مواصلا على نفس درب الانحلال الذي عرف به، إلى أن تمالى عليه أشياخ بلاد الفحص فقتلوه غدرا بمحلته في الخامس من رجب سنة 1022هـ[lvii].

خاتمة

شهد المغرب خلال القرن السادس عشر تحولات كبيرة على مستوى الحكم والمكانة داخل المحيط الدولي، خاصة بعد معركة وادي المخازن، كما عاش تحديات صعبة بوجوده في موقع جغرافي استراتيجي جعل أنظار القوى الكبرى متجهة نحو أراضيه باستمرار، فالعثمانيون والاسبان لم يتوقفوا أبدا عن مراقبة الوضع بالمغرب السعدي في محاولات متواصلة لاستغلال أية فرصة للانقضاض عليه، أو على الأقل للحيلولة دون سقوط ثغوره وأراضيه في يد الأعداء، لتنظم إنجلترا إلى المعادلة بوصول الملكة إليزابيث إلى الحكم، والتي عملت على معاكسة مصالح أعدائها الاسبان في المغرب، وهو ما منح السعديين في شخص أحمد المنصور عدة أوراق ليلعب بها في هذا المحيط الاقليمي المشحون، باستغلال تلك الصراعات من أجل الحفاظ على أراضي المغرب،وقد كانت قضية ميناء العرائش، والصراع المعلن أحيانا والخفي أحيانا أخرى بين إسبانيا وإنجلترا، نموذجا للصراعات التي اندلعت بين هاتين القوتين الأوربيتين حول النفوذ، والذي اتخذ العديد من الأشكال واستمر سنوات طويلة، لعب خلالها الملك الاسباني ونظيرته الانجليزية بمختلف الأوراق التي يتوفرون عليها لتحقيق أهدافهما المتناقضة في الغالب، وهو ما جعل قضية العرائش تحظى بأهمية كبيرة لهما، باعتبار السيطرة على الميناء مفتاحا لضرب المصالح السياسية والاقتصادية للخصم، وقد شكلت خلالها العلاقة مع أحمد المنصور السعدي إحدى أبرز ملامحها، نظرا لموقع المغرب الجغرافي ووزنه السياسي والاقتصادي في المنطقة.

لا يمكن فصل التنافس حول ميناء العرائش عن التطورات الكبرى التي عرفها العالم بعد اكتشاف العالم الجديد وانتقال الوزن الاقتصادي العالمي من الموانئ المتوسطية نحو الموانئ الأطلسية، مما جعل من ميناء العرائش وموقعه الجغرافي محط أطماع القوى الكبرى في المنطقة، لكن السلطان السعدي أحمد المنصور لم يكن غافلا عن تلك الأهمية، مما جعله يمتنع كلية عن تسليمه لأي من تلك القوى، واستخدم كل الوسائل الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لحمايته، ولم تنته تلك التجاذبات إلى بعد تغير وضع توازنات القوى بعد وفاة السلطان أحمد المنصور وتدهور الأوضاع بالمغرب، مما مهد لسقوط العرائش لقمة سهلة بيد الأسبان.

الهوامش:

[i] بروفانصال ليفي، مؤرخو الشرفا، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص. 17 .

[ii] كانت إسبانيا تعتبر راعية للمذهب الكاثوليكي بينما تبنت إنجلترا المذهب البروتستانتي، كما دعمت هذه الأخيرة الثورة في الأراضي المنخفضة ضد السيطرة الاسبانية، وكانت أكبر مواجهة بين البلدين في معركة الأرمادا سنة 1588م، والتي انتهت بتدمير الجزء الأكبر من الأسطول الاسباني على السواحل الانجليزية.

[iii] أحمد المنصور الذهبي بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، ولد بفاس عام 956ه/1549م. خرج إلى الجزائر مع أخيه عبد الملك أواخر عام 966ه/1559م. اضطلع أحمد المنصور بأعباء الدولة في أعقاب معركة وادي المخازن، وبدأ يواجه الأخطار الداخلية والفتن الخارجية المتمثلة في الدولتين القويتين المجاورتين: الاسبان والأتراك.قام بتجهيز حملة كبرى للسودان سنة 1591م. وظف المنصور قسطا من وفر بيت المال في تشييد منشآت عمرانية دينية وعلمية واقتصادية وعسكرية،أعظمها قصر البديع بمراكش.وافته المنية بفاس سنة 1603. حجي محمد، أحمد المنصور الذهبي،معلمة المغرب،ج1، ص. 173.

[iv] فيليب الثاني ملك إسبانيا (1556-1598)، ملك البرتغال والغرب باسم فيليب الأول من 1580 حتى 1598، أيد الكاثوليكية بقوة، كانت إسبانيا من أقوى الدول في العالم في عهده، ودخلت في صراع طويل مع العثمانيين ومع إنجلترا، من أهمها معركة ليبانتي 1576م ضد العثمانيين، ومعركة الأرمادا 1588م ضد إنجلترا.

[v] إليزابيث الأولى(7 سبتمبر 1533 - 24 مارس 1603)، ملكة إنجلترا وأيرلندا من 1558 إلى 1603م، عرف عهدها تناميا سريعا لقوة إنجلترا ودخلت في صراع طويل مع إسبانيا فيليب الثاني.

[vi] عبد الملك المعتصم سلطان سعدي، حكم من أواخر ذي الحجة سنة 983 (أواخر مارس 1576) إلى وفاته يوم معركة وادي المخازن، آخر جمادى الأولى سنة 988(4 غشت 1578). أكمير عبد الواحد، عبد المالك المعتصم، **معلمة المغرب**، الجزء السابع عشر، الجمعية المغربية للنشر والتأليف، مطابع سلا، المغرب، 1989. ص. 5922.

[vii] Rosenberger Bernard, **Le Maroc au XVIé siécle au seuil de la modernité**, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat, 2éme édition, 2018, p. 155.

[viii] الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص. 302.

[ix] De Castries Henry, **Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc**, 1[ere] série, bibliothèque d'Angleterre, Tome 1, p. 47.

[x] Ibid, p. 125.

[xi] **سيباستيان الأول**؛(20 يناير 1554 – 4 أغسطس 1578) كان ملك البرتغال من 11 يونيو 1557 إلى 4 أغسطس1578 ، هو الملك البرتغالي ما قبل الأخير من أسرة أفيز، قي الملك حتفه في معركة وادي المخازن سنة 1578م.

[xii] De Castries H, SIHM, ANG, T1, op.cit, p. 163.

[xiii] Ibid,p. 220.

[xiv] Ibid,p. 312.

[xvi] الأفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، بردين.أنجي، الطبعة الأولى، 1888، ص. 81.

[xvii] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,op.cit,p. 377.

[xviii] دي صالدانيا أنطونيو، **أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**، إعداد أنطونيو دياش فارينيا، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب، عثمان المنصوري، لطفي بوشنتوف، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2011، ص. 41.

[xix] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,ibid,p. 382.

[xx] دي صالدانيا. أ، مصدر سابق، ص. 48.

[xxi] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,op.cit,p. 395.

[xxii] De la veronne Chantal ,Relations entre Maroc et Turquie dans la seconde moitié du 16e siècle et début du 17e siècle (1554-1616), **Revue de l'occident musulman et de la méditerranée**, N 15-16, 1973,p. 396.

[xxiii] الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: د.عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، 1972، ص. 264.

[xxiv] حبيدة محمد، تاريخ أوربا من الفيودالية إلى الأنوار، بحوث ودراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي رقراق، الرباط، ط 1، 2010، ص. 122.

[xxv] نفس الصفحة.

[xxvi] ماري ستيوارت ملكة اسكتلندا ما بين 14 ديسمبر عام 1542 حتى 24 يوليو عام 1567 ، أجبرت على التنازل عن العرش، أدينت ماري عام 1586 بالتآمر لاغتيال إليزابيث ملكة إنجلترا، وقُطِع رأسها في العام التالي.

[xxvii] نوار عبد العزيز، جمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999، ص. 201.

[xxviii] تاجر إنجليزي عقد عدة صفقات لصالح الملكة والحكومة الإنجليزية.

[xxix] دي صالدانيا. أ، مصدر سابق، ص. 51.

[xxx] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,op.cit,p. 408,n . 2.

[xxxi] Ibid, p. 410.

[xxxii] دي صالدانيا. أ، مصدر سابق، ص. 98.

[xxxiii] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,op.cit,p. 484, n. 1.

[xxxiv] دي صالدانيا. أ، مصدر سابق، ص. 99.

[xxxv] **ألونسو بيريث دي غوثمان إي سوتومايور**، 1550-1615 ، دوق ميدنيا سيدونيا السابع ونبيل إسباني .اختاره الملك فيليب الثاني لقيادة الأرمادا الأسطول البحري الإسباني الضخم الذي أبحر شطر القناة الإنجليزية عام 1588 م.

[xxxvi] نفسه ، ص. 103.

[xxxvii] Hume David, **Histoire d'Angleterre, Elizabeth,Jacques 1er**,Tome 4, Paris, 1759, p. 267.

[xxxviii] حاطوم نورالدين، **تاريخ عصر النهضة الأوربية**، دار الفكر، دمشق، 1985، ص. 272.

[xxxix] دي صالدانيا.أ، مصدر سابق، ص. 115.

[xl] Gandin Jehanne Marie, La remise de l'arache aux espagnols en 1610, **Revue de l'Occident musulman et de la Méditéranée**, N.7, 1970, p. 71.

[xli] دي صالدانيا.أ، مصدر سابق، ص.105.

[xlii] De Castries.H,SIHM,FRANCE,T2,p. 151.

[xliii] ابن القاضي أحمد، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1986، ص. 836.

[xliv] De Castries.H,SIHM,ANG,T1,op.cit,p. 536.

[xlv] الناصر بن عبد الله الغالب، كان واليًا على قادلا أيام أبيه، فرَّ إلى آصيلا بعد معركة وادي المخازن، ثم عبر البحر إلى إسبانيا حيث بقي عند ملك إسبانيا إلى أن عبر إلى مليلة، بعثَ المنصور جيشًا كبيرًا، فهزمَه الناصرُ واستوثق له الأمر، فأمر المنصورُ وليَّ عهده بمنازلته، فلما التقى الجمعان كانت الدائرة على الناصر، فهرب إلى أن قبض عليه، واحتزَّ رأسه، وحملها إلى مراكش سنة 1005 هـ/1596م.

[xlvi] دي صالدانيا. أ، مصدر سابق، ص. 139.

[xlvii] الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق ذ.جعفر الناصري، ذ. محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص. 323.

[xlviii] التمنارتي عبد الرحمان، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تحقيق اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2007،2،ص. 166؛الافراني،مصدر سابق،ص ص.190-196؛ القادري، نشر المثاني،ج 1، ص. 107.

[xlix] الافراني.م، مصدر سابق،ص. 195.

[l] نفسه، ص. 197.

[li] Gandin J-Marie,op.cit,p. 72.

[lii] De Castries.H,SIHM,ANG,T2,op.cit,p. 410.

[liii] Ibid,p. 422.

[liv] Ibid,p. 417,n. 5.

[lv] القادري محمد بن الطيب، **إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983،ص. 50.

[lvi] الأفراني، مصدر سابق، ص. 198.

[lvii] نفسه، ص. 199.

المصادر والمراجع:

1. الأفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، بردين.أنجي، الطبعة الأولى، 1888.
2. أكمير عبد الواحد، عبد المالك المعتصم، **معلمة المغرب**، الجزء السابع عشر، الجمعية المغربية للنشر والتأليف، مطابع سلا، المغرب، 1989.
3. ابن القاضي أحمد، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1986.
4. بروفانصال ليفي، **مؤرخو الشرفا**، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977.
5. التمنارتي عبد الرحمان، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تحقيق اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2، 2007.
6. حاطوم نورالدين، **تاريخ عصر النهضة الأوربية**، دار الفكر، دمشق، 1985.
7. حبيدة محمد، **تاريخ أوربا من الفيودالية إلى الأنوار**، بحوث ودراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي رقراق، الرباط، ط 1، 2010.
8. دي صالدانيا أنطونيو، **أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**، إعداد أنطونيو دياش فارينيا، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب، عثمان المنصوري، لطفي بوشنتوف، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2011.
9. الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق: د.عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، 1972.
10. القادري محمد بن الطيب، إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.
11. الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ذ.جعفر الناصري، ذ.محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
12. نوار عبد العزيز، جمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999.
13. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.
14. De Castries Henry, Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ere série, bibliothèque d'Angleterre, Tome 1, Paris, France, 1918.

15. De la veronne Chantal, Relations entre Maroc et Turquie dans la seconde moitié du 16e siècle et début du 17e siècle (1554-1616), Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, N 15-16, 1973.
16. Gandin Jehanne Marie, La remise de l'arache aux espagnols en 1610, Revue de l'Occident musulman et de la Méditéranée, N.7, 1970.
17. Hume David, Histoire d'Angleterre, Elizabeth, Jacques 1er, Tome 4, Paris, 1759.
18. Rosenberger Bernard, Le Maroc au XVIé siécle au seuil de la modernité, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat, 2éme édition, 2018.